خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

١٧ من ربيع الآخر ١٤٣٦ هـ / ٦ من شباط ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة، ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين. أبرأ من الثقة إلا بك، ومن الأمل إلا فيك، ومن التسليم إلا لك، ومن الطلب إلا منك، ومن الصبر إلا على بابك، ومن الذل إلا في طاعتك، ومن الرجاء إلا لما في يديك الكريمتين، ومن الرهبة إلا لجلالك العظيم.

اللهم تتابع برك، واتصل خيرك، وكمل عطاؤك، وعمت فواضلك، وتمت نوافلك، وصدق وعدك، وحق على أعدائك وعيدك، فلم تبق حاجة لنا إلا قضيتها برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عز وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في محكم التنزيل: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: ((اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلعة الدين، وغلبة الرجال)).

معاشر الإخوة: الجرأة هي قوة نفسية رائعة، يَستمدها المؤمن من الإيمان بربه، ومن الحق الذي يعتنقه، ومن الخلود الذي يؤمن به، ومن القدر الذي يستسلم إليه، ومن المسؤولية التي يستشعر بها، ومن التربية التي يُنَشَّأُ عليها، وعلى قدر نصيب المؤمن من الإيمان بالله الذي لا يغلب، بالحق الذي لا يخذل، وبالمسؤولية التي لا تكل، وبالتربية السليمة الصحيحة، بقدر هذا كله يكون نصيبه من قوة الشجاعة والجرأة وقول كلمة الحق.

إن الينبوع الذي تسيل منه مخايل الرجولة الناضجة هو الذي تَسيل منه معاني اليقين الحي، الإيمان الحق يَجعل الرجل صلب العود لا يميل مع كل ريح ولا يهتز مع كل زلزال، وإذا أَحصينا الرجال الذين لا تأخذهم الدهشة أمام المفاجآت عَرفنا أَنَّ لهم من أنفسهم ما يُهَوِّنُ عليهم أي مفقود، وما يُسَلِّيهِم عن كل فائت، وبهذا الشعور يُمكنهم أن يقتحموا كل حصار تضربه عليهم الليالي الكوالح، ومن ثم وجب

على طلاب الكمال وأهل المروءة أن يَتحصنوا بمُثُلِهِمُ العليا، وأن يلتمسوا السلوى في ظلها، إذا دهمتك شدة فماذا عساك تصنع؟ تَدع الروع ينهب فؤادك، والعواصف الجائحة ترمي بك في مكان سحيق؟ أم تقف مطمئناً وتحاول أن تتلمس بين هذه الضوائق مأمناً يهديك إليه الفكر الصائب؟.

إن الشجاعة في الدفاع عن الحق هي صفة من صفات الأنبياء والمرسلين، وإلى ذلك أشار علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه بقوله: (كنا إذا حمي الوطيس اتقينا برسول الله ﷺ) روى علماء السيرة أن أهل المدينة أصابهم فزع، فانطلق الناس قبل صوب، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر لفرس لأبي طلحة عُري -أي ليس على ظهر الفرس شيء- والسيف في عنقه، وهو يقول: ((لن تراعوا، لن تراعوا)) ويوم حنين ثبت النبي ﷺ، وثَبَّتَ قلوب أصحابه، وتقدم نحو صفوف العدو، وهو على بغلته، غير مبال ولا غياب، ويقول بكل جرأة وثبات: ((أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب)).

فالرجال العظماء والشجعان يُعرفون بمواقف الشدة في مواجهة العدو، وكيف لا يكون النبي ﷺ شجاعاً مِقداماً في أخطر المواقف، وقد حثه الله على القتال من أجل الدفاع عن الحق فخاطبه سبحانه: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤] وقال سبحانه: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣].

وقد تجلى خلق الشجاعة في أصحاب رسول الله ﷺ، ونرى هذا بارزاً في شخصية أبي بكر ﷺ، الذي كان أرجح المؤمنين قتالاً بعد رسول الله ﷺ، فقد تمثل إيمانه في مواقف جَعلت عمر ﷺ القوي الشديد يقول: (والله لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح إيمان أبي بكر) فمن مواقف أبي بكر ﷺ وجُرأته يَوم تردد المسلمون في إنفاذ جيش أسامة الذي جهزه النبي ﷺ إلى الشام قبل مرض موته، فقد طَلبوا مِن أبي بكر ﷺ أن يُوقف مَسير هذا الجيش، بسبب أن الغَدَ مليء بالأحداث والاحتمالات، ولكن أبا بكر -يا سادة- أجابهم في بحزم وعزم: (والذي نَفسي بيده لو ظننت أن السِّبَاع تَختطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ مَا كُنت أُحِلُّ عقدة عقدها رسول الله ﷺ بيده). ومن مواقفه أيضاً حين ثبت على موقفه في قتال مانعي الزكاة، وذلك عندما قال بعض المسلمين لأبي بكر ﷺ: يا خليفة رسول الله، لا طاقة لك بحرب العرب جميعاً، الزم بيتك وأغلق بابك، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين، ولكن هذا الرجل الخاشع البكاء يَنقلب في لحظات إلى رجل ثائر كالبركان، ويجأر كالليث

قائلاً: (والله لو منعوني عقال بعير كان يعطونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، والله لأقاتلنهم ما استمسك السيف بيدي) يعلمنا أبو بكر ﷺ أن حب الذات والعيش في إفرازاتها ولو كانت حريراً كالذي تُفرزه دُودة القز مُنْتَهٍ حتماً بالاختناق، وهو اختناق أدبي وإن وصل صاحبه إلى قمة المجد والسلطان، ويعلمنا أبو بكر ﷺ أن الجبناء والأنانين في كل مجتمع لعنةٌ ماحقة، تَحترق في سعيرها الفضائل والمصالح، وتذوب في مرضاتها الأفراد والجماعات، فالناس لا تغريهم الأقوال المعسولة قَدر ما تغريهم الأعمال الجليلة والأخلاق الماجدة، هُناك جمهور كبير من الناس يَعيشون في حُدود مَطالبهم ومصالحهم الخاصة، فإذا كانت لَهم حاجة اشتد إحساسهم بها، وطال إلحاحهم في قضاءها، ولا يَزالون يَسعون وراء الذي لهم، أما إذا كان عليهم شيء، فهم يَذهلون عنه وقل ما يذكرونه، إلا إذا طلبوا به وألجأوا إليه، وأزعجوا إليه أيضاً، فإذا أَدَّوه بعد ذلك فهو أداء ناقص يسير.

إن هذا النوع من الخلق الرديء يُسيء إلى الأمة إساءة بالغة، ويسيء إلى المجتمع إساءة بالغة، فإن الشخص لا تهيجه إلا منافعه الخاصة، ولا يَكترث للمصلحة العامة شخص تَشقى به البلاد والعباد، وما على هذا تُبنى أمة أو يَقوم مجتمع، والواقع –يا سادة– أن الأثرة يجب أن تُعالج منذ الطفولة المبكرة، حتى تَنبت الناشئة وهي تنظر إلى نفسها وإلى غيرها نظرة لا جَنف فيها ولا قُصور، ولن يخطئك أبداً وأنت تلمح مسالك الناس أن ترى طغيان الذات لا حب الذات كامناً وراء الكثير من الأعمال والأحوال، وإن اجتهد أصحابها في إلباسها صوراً بعيدة عن الريبة والجور، والاضطراب الاجتماعي الذي نُعانيه إنما ينبع من هذه العين الحمأة، فإن فقدان التعاون وقلة الاكتراث بشؤون الجماعة، وتأخير الاهتمام بالبلد الذي نحيا فيه والأمة التي نرتبط فيها والرسالة التي ننتسب إليها، كل ذلك أمارة على ضعف اليقين وظهور النفاق، وقد وصف الله عز وجل المنسحبين من معركة أحد وصفاً يَكشف عن داء الجبن والأنانية في نفوسهم، فقال سبحانه: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] فَهؤلاء قَوم أَعجبتهم أَنفسهم وحدها وآراؤهم وحدها، وإذا لم يسمع لهم، وإذا لم ينزل الآخرون على رأيهم، فلن تراهم إلا ساخطين ناقدين، وقد سجل التاريخ –يا سادة– أن كل أمة أُصيبت في رجالها أو أُصيب رجالها في شجاعتهم ورجولتهم وحَميتهم وغيرتهم أَفَل نَجمها وكُشفت شمسها، وأصحبت أثراً بعد عين، يقول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: (اقتحموا الموت، فَرُبَّ جَريء كُتبت له السلامة، ورُبَّ جبان لقي حتفه في مكمنه) وسُئل رضي

الله عنه مرة: يا علي كيف تصرع الأبطال؟ ما الذي يجعلك قوياً؟ ما الذي يجعل الأبطال يصبحون أمامك كالأقزام؟ ما الذي يجعلك تصرع الأبطال؟ قال: (إذا لقيت أحداً كنت أقدر أني أقتله، ويقدر هو أني قاتله، فأجتمع أنا ونفسه عليه فأهزمه، من هنا قال العرب: إن الشجاعة وقاية والجبن مقتلة. وقال أرسطو: الشجاعة أولى سمات البشر، فهي التي تجعل بقية السمات ممكنة.

يا سادة: المؤمن الحق والإنسان الحق هو الذي يتصف بالشجاعة دائماً، الشجاعة التي يتحلى بها بالرحمة، وبالخلق الكريم، وبالفضائل والأعمال الراقية، كما كان النبي ﷺ، كان نبينا مُحَمَّد ﷺ شجاعاً ولكنه كان رحيماً، ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ كانت شجاعة النبي ﷺ باساً على أهل الكفر والنفاق، أما الشجاعة الحقيقية التي يَنبغي علينا أن نتمثل بها هي أن نحقن دماء بعضنا البعض، أن نصون دماء بعضنا البعض، وذلك من خلال باب المصالحة الوطنية المفتوح على مصراعيه، ليس من الشجاعة أن تقتل، ليس من الشجاعة أن تستهدف الأبرياء، ليس من الشجاعة أن تُفقد الناس أمنهم واستقرارهم، ليس من الشجاعة أن تضرب الهاون والقذائف الصاروخية على الأماكن السكنية والمدنيين والأبرياء، الشجاعة الحقة هي التي تكون مواجهة وجهاً إلى وجه، أما الذي يتترس بالأطفال والنساء والمدنيين، وهو أدنى من مستوى الجبناء، وأدنى من مستوى الذين لا يفقهون شيئاً عن الشجاعة، من كان يتصف بالشجاعة، ومن كان يعرف قيمة الشجاعة، هو الذي يصون وطنه، هو الذي يَصون عرضه هو الذي يقدم نفسه دفاعاً عن المسجد الاقصى، هو الذي يعمل على تحرير الجولان الحبيب، وعلى تحرير لواء اسكندرون، وليس الذي يقتل السوريين.

إن الإرهاب الغاشم الذي مَوَّلَهُ آل سعود الذي يَضرب مدينة دمشق، والذي يَضرب مدينة اللاذقية، والذي يضرب مدينة حلب، وأهلنا في رقة الزهراء، هذا كله على أن أعدائنا أصبحوا يتخبطون تحت أقدامكم –أيها الشعب المعطاء– إن صمودكم جعل أعدائكم يَتخبطون، وبِقَدر صمود دمشق وبقدر صمود سورية –هذا الوطن العريق– نُعطي العالم درساً بأسره أننا ماضون إلى طريق الانتصار، وماضون في طريق الانتصار، ولن تلين عزائمنا، ولن تتقهقر إرادتنا، لأننا أصحاب حق وأصحاب قضية، نُدافع عن قضية وجود ومَصير، نَحن الشجعان، ونحن مَن نُعلم العالم الشجاعة.

ها هو الجيش العربي السوري، هذا الجيش المقاوم المعطاء، هذا الجيش العملاق، يَقف في ساحة القتال وجهاً مع وجه، مع الإرهاب والإجرام، لا يُقاتل الجيش في الأنفاق، إنما يُقاتل على ظهر الأرض، لا

يُقاتل الجيش مُتترساً بالمدنيين الأبرياء، إنما يُقاتل في ساحات الوغى، وتُقديراً لشجاعات الجيش العربي السوري وجرأته وتضحياته، قامت وزارة الاوقاف في الرابع عشر من الشهر الأول من العام الجاري بتقديم كتاب سَمَّتهُ (يا شهيد يا منصور) بتقديم كتاب هدية إلى وزارة الدفاع، لتبين وزارة الأوقاف من خلال علمائها ودعاتها وداعياتها أننا سنبقى على خطى الجيش العربي السوري، وأننا سنقدم لهم كل ما نستطيع، وأننا سنشد على أيدي هذا الجيش العملاق، الذي يدوس الإرهاب والإجرام وداعميه تحت أقدامه السيدة، تحت أقدامه الجبارة، تحت أقدامه التي لا تعرف الخور ولا الذل ولا الهوان.

معاشر الإخوة: ما تمر به دمشق، وما تمر به حمص واللاذقية وحلب وغيرها من الأماكن، في هذا الوطن الكبير الشامخ بقيادته العظيمة وبشعبه المعطاء، كل ذلك هو دليل على أننا لن نخضع ولن نركع، إرهابهم، إجرامهم، قذائفهم، لن تُثنينا عن متابعة الحياة، وسنبقى نقول للعالم: نحن سوريون، نَرفع رؤوسنا عالياً، نُباهي بها قمم الجبال، لأننا أصحاب حق، أما أنتم –أيها المرتزقة الخونة– فَمَصيركم أنتم ومَن يُمولكم إلى مزبلة التاريخ، ونحن إن مِتنا أو قُتلنا فسورية تستحق أكثر من ذلك، لا تخشى على نفسك أيها الانسان، دَعُوني أختم الخطبة بهذه الكلمة، كم في بداية الحرب أغلقت أفواه بسبب الإرهاب والإجرام، كان أحدنا لا يستطيع أن يقول: أنا أحب بلدي، أنا أحب وطني، أنا أحب قائدي، أنا أحترم حكومتي، كان هذا الأمر موجود، لأن الإرهاب والإجرام أحرق الأجساد وهم أحياء في عدرا البلد، لأن الإرهاب قطع الرؤوس والأطراف وهم أحياء من أجل أن يُدخل الرعب والذعر إلى قلوبنا، لكننا صمدنا وقلنا لهم: مهما قطعتم من أوصالنا وأحرقتم من أجسادنا فلن تحرقوا إرادتنا وقوتنا وصمودنا، وها هو الشعب السوري على ما يُقارب خمس سنوات أصبح يقول علناً للعالم بأسره: لقد اخترنا طريقنا، وقررنا مصيرنا، وقررنا مستقبل أجيالنا، ونحن مَن يرسم التاريخ، ومن يرسم الحضارة، فاتركونا وكفوا عنا، وإلا سحقتم تحت أقدام الجيش العربي السوري العقائدي.

دمشق صبراً على البلوى فكم صُهرت ... سبائك الذهب الغالي فما احترقا

تيمور خف وهولاكو وقد سحقا ... كل الدُّنى وعلى أسوارك انسحقا

والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانيــ٢ـة:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد، وعلى اله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات والأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم اسقنا غيثاً مُغيثاً هنيئاً مَريئاً مَريعاً سَحَّاً غَدقاً طَبَقاً مُجللاً إلى يوم الدين، اللهم إنا نسألك أن تعيد نعمة الأمن والاستقرار إلى ربوع وطننا الحبيب، اللهم إنا نسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، وأن تثبت الأرض تحت أقدامهم، وأن تكون لهم معيناً وناصراً، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد لما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، واجعله بشارة خير ونصر للأمة العربية والإسلامية، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

مديرية أوقاف دمشق